ولقد حدث منذ اوائل سنة ١٩٧٠ في الجو العربي ما يجعل الوساطة العربية والضغط العربي سيفا ذا حدين . ذلك ان كثيرا من الدول العربية ، وعلى راسها مصر والمملكة العربية السعودية ، كانت تميل الى وقف القتال مع دولة الاحتلال الصهيوني من جهة ، وكانت تخشى نمو الحركة الجماهيرية المسلحة من جهة اخرى . ولهذا عملت داخل المقاومة وخارجها « لضغط حركة المقاومة وضبطها » . ولم يكن النظام الاردني وحيدا فيما يريده ويخافه ، ذلك ان هنالك انظمة اخرى تريد ما يريد وتخشى ما يخشى . وبدأ منذ نيسان سنة ١٩٧٠ نشاط مصري ــ سعودي استهدف وضع حد لنمو الحركة الجماهيرية المسلحة ذات الافق السياسي ، وتحويل حركة المقاومة الى قوة تقودها الانظمة . ولا تتعدى ان تكون قوات « كوماندوز » تابعة للجيوش النظامية . وكان النظام الاردني يعمل على الاستفادة من الموقف المصري ــ السعودي لتوجيه ضربة قاضية .

وهكذا كانت معركة أيلول ، ولكن النتائج العسكرية لم تكن لمصلحة التصفية ولا الاحتواء ، ولذلك نشطت دبلوماسية التصفية من جهة ودبلوماسية الاحتواء من جهة اخرى . وحاولت اللجنة العربية ، بعد أيلول ، ان تحقق الاحتواء من خلال تقنين وجود المقاومة والغاء طابعها الثوري في المدن وتركيز قواتها في مناطق تجعل توجهها نحو العدو الصهيوني الخ ، ولكن هذا المخطط اصطدم بمخطط النظام الاردني الذي يهدف الى التصفية. وكانت الدبلوماسية العربية السرية ، تضغط في اتجاه : توحيد حركة المقاومة بقيادة فتح المؤمنة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد العربية، الغاء الوجود الجماهيري المسلح للمقاومة، وتصفية المنظمات اليسارية والعناصر المتسيسة في حركة المقاومة . وكان في حركة المقاومة وما زال من يؤيد هذا المخطط ويعمل له . وهذا هو الذي جعل عملية «التراجعات» المشينة التي حدثت في الاردن، بعد أيلول ، ممكنة .

لماذا كانت الوساطة العربية ، وكان الضغط العربي يتجهان نحو الاردن لمنع التصفية بأشكال متفاوتة ، فقد كانا أيضا يتجهان نحو المقاومة من أجل الاحتواء : من اجل التصفية الحقيقية . وحين التقى فيصل والسادات في اواخر حزيران اتفقا على ما يلي : ١ ــ وقف التصفية النهائية ، ٢ ــ مطالبة المقاومة بتصفية نفسها لتكون مقبولة اردنيا وعربيا ، ومطالبة النظام الاردني بقبول المقاومة « المطهرة » . الا ان النظام الاردني الذي خاف هذا الاتفاق المصري ــ السعودي عاجل مراكز المقاومة الباقية بضربة قاضية ، ليكون سيد اي وضع جديد . وعندما فعل النظام الاردني ما فعل كان يقدر حقيقة رد فعل الانظمة العربية حق قدرها. وكان يعلم : « ان الامر لن يصل الى فصل الاردن من الجامعة العربية » (الجمهورية ٧١/٧/٢١، حديث لوصفي التل) .ومن الجدير بالذكر ان الهجوم الذي تم على احراش جرش وعجلون جاء بعد بدء الوساطة المصرية ــ السعودية بأيام. ومع ذلك فان الهجوم لم يتأخر او يسقط من الحساب .

وما حدث بعد ذلك ، وهو ما سنتعرض له بعد هذا المدخل ، جاء في غير اوانه ، اي بعد سقوط جرش وعجلون ، ولذلك فانه لن يكون حاسما ومفيدا مهما كان مستواه او وزنه او نوعه .وكانت المقاومة تستطيع ان تجعله حاسما ومفيدا لو صمدت في جرش وعجلون كما صمدت في عمان . واذا كان غير مفيد على صعيد الاردن ، فلربما كان مفيدا على صعيد لبنان .

وقد تمثل رد الفعل العربي شعبيا بعمليات الاستنكار المحدودة نسبيا ، والتي تجسدت في برقيات الاستنكار وبيانات التنديد ، ولقد كانت في لبنان اكبر منها في أي مكان اخر ، وان كانت عموما اقل مما هو مطلوب كثيرا . ذلك ان البرقيات والبيانات والتظاهرات المحدودة ، لا تتناسب مع خطورة المؤامرة .

كما أنه من الجدير بالذكر ان ما حدث في ايلول كان أكبر ، وما حدث في جنازة خليل عز الدين الجمل ، مثلا ، كان اعظم . ولهذا دلالاته .واذا كانت الحركة الوطنية العربية مسؤولة عن هذا « التخلف » ، فان حركة المقاومة ليست اقل مسؤولية .

أما رد الفعل الرسمي فقد تراوح بين بلد واخر. وسوف نقدم صورة عنه عبر تسلسل الاحداث :

أ : صرح المتحدث الرسمي باسم الجمهورية العربية المتحدة يوم ٧/١٤ بأن الجمهورية العربية المتحدة تنظر بقلق شديد للتطورات التي حدثت في الاردن في الاربع والعشرين ساعة الاخيرة . وقال المتحدث ، ان الجمهورية العربية المتحدة كانت ترجو ان تثمر الاتصالات الاخوية المصرية ــ